كرامة تشييع الجنائز.. بين الحقيقة والتحايل
دراسة في التصوف الإسلامي

حامد عيسى مصطفى العسيلي*

ملخص البحث

يعالج هذا المقال قضية كثر الكلام حولها من بين مؤيد مغالٍ، ومنكرٍ رافض لها جملة وتفصيلا، وهي قضية ظهرت مؤخرا في بعض بلاد الإسلام- تتعلق بكرامات تحصل لبعض الصالحين في أثناء تشييع جنائزهم، منذ تحرك الجنازة من بيت المتوفى حتى دفنه، كخِفّة جثامين الصالحين أو ارتفاعها في أثناء تشييع جنائزهم إلى قبورهم، كما يناقش المقال -أيضا- قضية طواف الصالحين-في أثناء تشييعهم- لزيارة قبور من عُرفوا بالصلاح وزيارة الأماكن المباركة. وتأتي **أهمية هذا المقال** من كونه يعرض القضية على سيرة سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم- وسَنن السلف الصالح. ويناقشها في حيدة تامة بعيدا عن العصبية العمياء والحماقة والهوى؛ ليقف على نتيجة مهمة: هل هذه الكرامة حقيقة يدعمها الشرع كالذي وقع

---

* أستاذ مساعد في كلية أصول الدين، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، بروناي دار السلام. البريد الإلكتروني: hamid.elosily@unissa.edu.bn

لسعد بن معاذ عندما خفت جنازته لأن الملائكة كانت تحمله، وكالذي وقع لعامر بن فهيرة؛ حيث رُفع بين السماء والأرض بعد استشهاده، والتمسوا جسده ليدفنوه فلم يقدروا عليه، وكانوا يرون أن الملائكة دفنته، أم إن هذه الكرامة افتراء وافتعال وادعاء وتحايل من المشيعين الذين يموّجون النعش ويرفعونه بأيديهم ويسرعون أو يجرون به؛ إيهاما للبسطاء أن النعش وقعت لهم كرامة؟! والمقال يجيب عن هذه التساؤلات، ويخلص إلى نتائج مفيدة، مفادها أن نعش العبد الصالح يخف -أحيانا- وهو محمول فوق أكتاف الرجال، وذلك من كرامة الميت، وأن من ينظرُ ويترقب يستطيع التفرقة بين كرامة حقيقية أجراها الله على يد عبد الصالح وكرامة من فعل المشيعين.

Abstract

This article deals with the issue of the most talked about among the supporter and denier rejecting them altogether, and an issue that emerged recently in some countries of Islam - related to the dignity of some shrines during the funeral of their funerals, since the funeral move from the house of the deceased to his burial, such as the light of the bodies of the righteous or rise during the funeral of their funerals to their graves, as the article also discusses the issue of cruising the righteous - during their funerals - to visit the

graves of those known as goodness and visit the blessed places. The importance of this article comes from the fact that it presents the case to the biography of the master of the messengers - peace be upon him - and Sunan predecessors: is this dignity a fact supported by the law, which occurred to Saad bin Mu'az when his funeral eased because the angels were carrying him, and the one that occurred to Amer bin Fahira; pretense and circumvention of mourners who waved the casket and raise it with their hands and hasten or drag it. The article answers these questions, and concludes with useful results, deposited at the conclusion of this article.

المقدمة

الحمد لله القائل:﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، وأصلي وأسلم على رسوله — صلى الله عليه وسلم — القائل: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي

[1] سورة يونس : ٦٢، ٦٣، ٦٤ .

يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[1]

وبعد،

فقد اقتضت حكمة الله – سبحانه – أن يكرم أولياءه بشيء من خوارق العادات تكريما وتأييدا لهم وإظهارا لقدرة الله؛ ليزداد الذين آمنوا إيمانا، وليعلم الناس أن القوانين الطبيعية والنواميس الكونية، إنما هي من صنع الله وتقديره ؛ لتخرج العقول المتحجرة من جمودها؛ وتلين القلوب القاسية. ولو استنبأنا التاريخ الصحيح؛ لأخبرَنا بوقوع كثير من الكرامات على يد صالحي الأمم السابقة. وفي صدر الإسلام وقع لصحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم– كرامات كثيرة، غير أنها قد كثرت بعد عصر الصحابة؛

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ).الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. محمد زهير بن ناصر الناصرمحقق. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة: الأولى، باب التواضع ٨ / ١٠٥ برقم ٦٥٠٢.

[1] الخفة مصدر الفعل خفّ، ومعناها: قلة ثقل الوزن، والمراد بها هنا: قلة حِمل جثمان الميت عند حمله على أكتاف الرجال.

[1] نعوش جمع نعش، وهو ما يُحمَل عليه الميت في أثناء تشييعه من بيته إلى قبره.

لأن صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم- إيمانهم قوي؛ فقد صحبوا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- والوحيُ يتنزل عليه؛ فما احتاجوا إلى ما يقوي هذا الإيمان، وأما غيرهم فما بلغ إيمانهم إيمان الصحابة؛ فقوّى الله إيمانهم بإظهار الكرامات؛ فكثرت وتوالت، وسوف تتوالى-إن شاء الله- حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذا المقال يناقش قضية ظهرت في العصر الأخير، تتعلق ببعض الكرامات التي تحصل لبعض الصاحين في أثناء تشييع جنائزهم، منذ تحرك الجنازة من بيت المتوفى حتى إدراجه في قبره، ككرامة خِفّة[1] نعوشهم[2] أو ارتفاعها لتلامس أصابعُ مشيعيه الخشبةَ التي هم عليها، في أثناء تشييع جنائزهم إلى قبورهم، كما يناقش كذلك قضية طواف الصالحين-في أثناء تشييعهم- لزيارة قبور من شهروا بالصلاح والأماكن المباركة التي كان يزورها في حياته. وتأتي **أهمية هذا المقال** من كونه يعرض القضية على سيرة سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم-وسَنن السلف الصالح. ويناقشها في حيدة تامة

[1] الخفة مصدر الفعل خفّ، ومعناها: قلة ثقل الوزن، والمراد بها هنا: قلة حِمل جثمان الميت عند حمله على أكتاف الرجال.

[2] نعوش جمع نعش، وهو ما يُحمَل عليه الميت في أثناء تشييعه من بيته إلى قبره.

بعيدا عن العصبية العمياء والحماقة والهوى؛ فلم يصادر فكرا ولا رأيا، مع الالتزام بالمنهج العلمي السليم.ليقف على نتيجة مهمة: هل هذه الكرامة حقيقة يدعمها الشرع كالذي وقع لسعد بن معاذ عندما خفت جنازته لأن الملائكة كانت تحمله، وكالذي وقع لعامر بن فهيرة؛ حيث رُفع بين السماء والأرض بعد استشهاده، والتمسوا جسده ليدفنوه فلم يقدروا عليه، وكانوا يرون أن الملائكة دفنته، أم هي افتراء وافتعال وادعاء وتحايل من المشيعين حيث إنهم يموّجون النعش ويرفعونه بأيديهم ويسرعون أو يجرون به؛ إيهاما للبسطاء أن النعش وقعت لهم كرامة؟! والمقال يجيب عن هذه التساؤلات، ويخلص إلى نتائج مفيدة، أودعها في خاتمة هذا المقال.

المطلب الأول معنى الكرامة مع ذكر شيء منها

تعريف الكرامة

الكرامة في اللغة: اسم للإكرام، وهو إيصال الشيء الكريم أي النفيس إلى المكرم.[1]

---

[1] المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي. (١٤١هـ-١٩٩٠م). **التوقيف على مهمات التعاريف**. الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت. القاهرة. الطبعة الأولى. ص: ٢٨١.

وفي الاصطلاح: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة.[١]

والكرامة من الأمور الجائزة عقلاً والواقعة فعلاً، جاء بها كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- الصحيحة، كما جاءت بها الأخبار الكثيرة المستفيضة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا. والواجب هو اعتقاد وقوع الكرامة، وليس عليك أن تعتقد كرامة معينة لشخص إلا أن يأتي بذلك دليل من الكتاب أو السنة وكذلك الشأن في الولي[٢].

إن بعض الدجالين يستطيعون بألاعيبهم وألاعيب أشياعهم أن يوهموا بعض الأغرار من الناس بأنهم أولياء وبأن لهم كرامات، ليأكلوا بذلك أموال الناس

---

[١] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م). **التعريفات**. جماعة من العلماء (محققون). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى. ص ١٨٤.

[٢] انظر أيوب، حسن محمد. (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م). **تبسيط العقائد الإسلامية**. دار الندوة الجديدة، بيروت — لبنان. الطبعة الخامسة. ص١٧٦.

بالباطل، أو ليحتفظوا لأنفسهم بمكانة معينة عند الناس، وهؤلاء كثيرون جداً وهم يجيدون حَبك مظاهرهم بأساليب عديدة ويوهمون الأغرار كثيراً بأن من يعترض عليهم يؤذى في نفسه وأولاده وماله كذباً وافتراءاً وتحايلاً؛ ولذلك حذر العلماء المحققون وكبار الصالحين من هؤلاء الناس فقالوا: إذا رأيت رجلاً يطير في الهواء أو يمشي على الماء أو يقطع المسافة البعيدة في طرفة عين فلا تغتر به، بل اعرضْه على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم– فإن وجدته ملتزماً به متأدباً مع الله، يشهد تاريخه بذلك فهو ولي، وإلا فهو شيطان في صورة آدمي أو آدمي في جوفه شيطان، أعاذنا الله وحفظنا ورعانا[1].

ذكر بعض الكرامات

ويطيب لي – في هذا المقام – أن أسوق بعض الكرامات التي أظهرها الله على يد صالحي المؤمنين؛ لتطمئن النفوس بها؛ ولتعمّ الفائدة منها، وهاك بعضا منها:

= قصة من تكلم في المهد، قال البخاري: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي– صلى الله

[1] انظر أيوب. (١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م). **تبسيط العقائد الإسلامية**. مرجع سابق. ص: ١٧٧.

عليه وسلم- قال:"لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات[1]، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى؛ فأتت راعيا فأمكنته من نفسها؛ فولدت غلاما، فقالت: مِن جريج؛ فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه؛ فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام؛ فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل؛ فمر بها رجل راكب ذو شارة؛ فقالت: اللهم اجعل ابني مثله؛ فترك ثديها وأقبل على الراكب؛ فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه، قال أبو هريرة:كأني أنظر إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-يمص إصبعه -ثم مرّ بأمَة؛ فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه؛ فترك ثديها؛ فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت:لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقتِ، زنيتِ، ولم تفعل"[2].

---

[1] أي الزانيات.

[2] البخاري. **صحيح البخاري** . مرجع سابق. باب: قول الله – تعالى-:" واذكر في الكتاب مريم". ١٦٥/٤. حديث رقم٣٤٣٦ .

= كلام الحيوانات: فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه، فقالت:لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة، قال:" آمنت به أنا وأبو بكر وعمر، وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي؛ فقال له الذئب: مَن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري"، قال:" آمنت به أنا وأبو بكر، وعمر"، قال أبو سلمة: وما هما يومئذ في القوم"[1].

= قصة سفينة قيس بن فروخ، مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- مع الأسد، قال- رضي الله عنه-: " ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها؛ فركبت لوحا من ألواحها؛ فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد؛

---

[1] البخاري. **صحيح البخاري**. مرجع سابق. (باب استعمال البقر للحراثة) ٣/١٠٣حديث رقم٢٣٢٤. والقشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن. (د.ت). **صحيح مسلم**. محمد فؤاد عبد الباقي محقق. دار إحياء التراث العربي بيروت. فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- ٤/١٨٥٧، رقم ٢٣٨٨. ومعنى قوله –صلى الله عليه وسلم-: "آمنت به" أي بتكلم البقرة، وإن كان الناس يستغربونه ويتعجبون منه؛ ففي صحيح مسلم :" فقال الناس: سبحان الله! تعجبا وفزعا"، ومعنى قول الذئب: "من لها يوم السبع" أي: يوم يأخذها حيوان أشد افتراسا مني؛ فيأكل منها حاجته، ويترك الباقي؛ فلا يكون لها راع غيري، وقيل: معناه: يوم يطردك عنها السبع؛ وبقيت أنا فيها؛ لا راعي لها غيري؛ لفرارك منه؛ فأفعل فيها ما أشاء، ومعنى قول أبي سلمة: "وما هما يومئذ في القوم" أي لم يكن أبو بكر وعمر حاضرَين، وهذه شهادة منه- صلى الله عليه وسلم- بصدق إيمانهما.

فأقبل إليّ يريدني؛ فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فطأطأ رأسه، وأقبل إليّ؛ فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة، ووضعني على الطريق، وهمهم؛ فظننت أنه يودعني، فكان ذلك آخر عهدي به" [١].

= حاصر خالد بن الوليد حصنا منيعا؛ فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم؛ فشربه فلم يضره.[٢]

= مكث الحسن البصري في بيته متغيبا عن الحجّاج بن يوسف الثقفي؛ فدعا الله-عز وجل-فدخلوا عليه ست مرات فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيه فخرّ ميتا.[٣]

= كان إبراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئا؛ وخرج يمتار لأهله طعاما فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء، فأخذ منها ثم رجع إلى

---

[١] أخرجه النيسابوري. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني. (١٤١١هـ-١٩٩٠م). **المستدرك على الصحيحين**. مصطفى عبد القادر عطا محقق. دار الكتب العلمية بيروت. ط١. ٣/٧٠٢. وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم".

[٢] انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (د.ت). **التصوف والصوفية**. محمد طاهر الزين محقق. دار الإيمان. صـ ٧٨.

[٣] انظر:ابن تيمية. (د.ت). **التصوف والصوفية**. مرجع سابق. صـ٧٩ .

أهله؛ ففتحها فإذا هي حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبا متراكبا.[1]

ولا يخفى على القارئ أن هناك كرامات ثبتت ثبوتا قطعيا في القرآن الكريم، كقصة أهل الكهف حيث مكثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود، ويقلبهم الله ذات اليمين وذات الشمال. وكقصة عرش بلقيس، فقد أحضره الذي عنده علم من الكتاب قبل أن يرتد طرف سليمان إليه.

واقرأ وطالع تجد الكثير من الكرامات للصحابة ومن بعدهم، فاقرأ السير والتراجم وكتب الصفوة إن أردت المزيد[2]. ومن يستقص المؤلفات التي تحدثت عن الأولياء وكراماتهم يجد مصنفات كثيرة، تتناول كراماتهم باستفاضة وإسهاب، قام بتصنيفها أكابر الأئمة وفضلاء الأمة، منهم العلامة الفخر الرازي، وأبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين، وأبوبكر بن فورك، وأبو حامد الغزالي، وناصر الدين البيضاوي، وحافظ الدين النسفي،

---

[1] انظر:ابن تيمية. (د.ت). **التصوف والصوفية**. مرجع سابق. صـ ٨٠ ، ٨١.

[2] انظر أيوب. (١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م). **تبسيط العقائد الإسلامية**. مرجع سابق. ص ١٧٦.

وتاج الدين السبكي، وأبو بكر الأشعري، وأبوالقاسم القشيري، والنووي، وعبد الله اليافعي، ويوسف النبهاني، وغيرهم من العلماء المحققين الذين لا يحصى عددهم[١].

المطلب الثاني: خفة النعش وطوافه

خفة النعش وارتفاعه

أود أن أُوقف القارئ الكريم على موضوع خفة وارتفاع نعوش الصالحين، والوقوف على حقيقة طواف جثامينهم بقبور الأولياء والعلماء العاملين: أهو حقيقة أم افتراء وافتعال وادعاء؟

والحق أنني لا ألزم أحدا بتصديق أو تكذيب، ولا أصادر فكرا ولا رأيا، ولكن ألزم نفسي بالمنهج العلمي السليم، والحيدة التامة. فأقول مستعينا بحول ربي وقوته؛ متبرئا من حولي وقوتي:

---

[١] انظر الحلبي، عبد القادر عيسى. (١٤٢١هـ-٢٠٠١م). **حقائق عن التصوف**. منشورات دار العرفان بحلب. الطبعة الحادية عشرة. صـ ٣٧٠.

إن نعش العبد الصالح يخف -أحيانا- وهو محمول فوق أكتاف الرجال، وذلك من كرامة الميت. وخير دليل على صحة هذا الكلام ما وقع لسيدنا سعد بن معاذ، الذي اهتز لموته عرش الرحمن، وحملته الملائكة فخفت جنازته؛ فقال المنافقون: ما أخف جنازته، وذلك لحكمه في بني قريظة، فبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "إن الملائكة كانت تحمله"، كما سنرى فيما نستقبل إن شاء الله.

ثم أقول: إن مشاهد ارتفاع نعوش الصالحين رآها كثير من الثقات، وتناقلوا أخبارها، حيث يذكرون أن النعش يعلو حتى يكون فوق أطراف الأصابع، ولا شك أن من ينظرُ ويترقب يستطيع التفرقة بين ارتفاع يلامس أصابع اليد، لا دخل للبشر فيه، وارتفاع آخر مصطنع مفتعل؛ حيث يموّج المشيعون النعش ويرفعونه بأيديهم ويسرعون أو يجرون به؛ إيهاما للبسطاء أن النعش ارتفع فوق أيادي المشيعين؛ فتدبر وتأمل؛ وانظر بعين الإنصاف لا بعين التحامل والاعتساف .

إن الثقات الذين لا يتواطئون على الكذب، ولهم دربة وخبرة ودراية يفرقون بين الحقيقة والافتعال، نقلوا أنهم شاهدوا ارتفاع نعش بعض الصالحين

ليلامس أطراف أيادي المشيعين، ولكن النعش لايستقل عنهم، إلا فيما حدّث لبعض الصالحين -فيما تناوله بعض الناس- حيث ارتفع النعش بهم ارتفاعا ملحوظا أدهش المشيعين.

والحق أنني لم أر خفة النعش أو ارتفاعه في حياتي، ولكني أشهد الله أني رأيت في تشييع إحدى الجنائز عكس ذلك تماما؛ مما جعلني أصدق هذه الكرامة، وأقطع بثبوتها؛ فمنذ سنين مضت، شاركت في تشييع وحمل جنازة، والميت -كان- مسنٌ نحيف، خفيف الجسد، لا يزيد وزنه عن أربعين كيلو جرام، حتى إذا حملناه على أكتافنا وتحركنا به وجدنا ثقلا لا نطيق حمله؛ فكنا نسير بجهد جهيد؛ فقد تعبت أكتافنا، وكلّت أيدينا، ونفرت قلوبنا، وشعرنا بأمر جلل خطير ينتظر هذه الجنازة، وعلم الله أنني ظللت اليوم كله أشعر بألم في كتفي، وشهد الله أننا عندما اقتربنا من المقبرة -والله حسبي فيما أقول- خفّ النعش وكأننا لا نحمل شيئا، فما الذي حصل؟ ومن الذي ثقّلها وخفّفها؟ إنه الله القادر على كل شيء.

وسنرى فيما نستقبل -إن شاء الله- ما حدث لجنازة سيدنا سعد بن معاذ، عندما خفت جنازته؛ فتكلم فيه المنافقون؛ فأخبر النبي -صلى الله

عليه وسلم- أن الملائكة كانت تحمله، بل إن هناك أمرا فاق خفة وارتفاع النعش، وقع لعامرِ بن فهيرة، صاحب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- حيث رفع بين السماء والأرض بعد استشهاده، والتمسوا جسده ليدفنوه فلم يقدروا عليه، وكانوا يرون أن الملائكة دفنته،كما سنرى -أيضا- فيما نستقبل إن شاء الله.

طواف النعش

يتناقل الناس أخبارا عن بعض صالحي المؤمنين، مفادها أن النعش طار في أثناء تشييع الجنازة، وزار قبور إخوانه من العلماء والأولياء (وهو ما يسمونه الطواف).

وبدهي أنهم لايقصدون طيرانا كطيران الطائر في جو السماء، فهذا قطعا غير مراد؛ فإن كلمة "طار" تطلق أحيانا ويراد بها السرعة؛ فيقال: طار فلان أي أسرع؛ ولذلك قالوا في قول الله - تعالى-: "وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

بِجَنَاحَيْهِ"[١]: "قيّد الطيران بالجناحين لنفي المجاز؛ لأن غير الطائر قد يقال فيه طار إذا أسرع ".[٢]

ومهما يكن من شيء؛ فليس الخلاف حول معنى كلمة طار أو طاف، وإنما الخلاف الواقع بين الناس يدور حول خفة النعش فارتفاعِه أو طوافِه بقبور الصالحين؛ فالناس حياله صنفان: صنف قائل بوقوعه مؤيد له، وصنف منكر له قائل باستحالته وافتعاله من المشيعين.

---

[١] سورة الأنعام من الآية :٣٨.

[٢] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. يوسف علي بديوي محقق. نشر دار الكلم الطيب بيروت. ط١. ١/٥٠٢. وقال فخر الدين الرازي: "ما الفائدة في قوله (يطير بجناحيه)؟ مع أن كل طائر إنما يطير بجناحيه، والجواب فيه من وجوه: الأول: أن هذا الوصف إنما ذكر للتأكيد، كقوله نعجة أنثى، وكما يقال: كلمته بفيّ ومشيت إليه برجلي، الثاني: أنه قد يقول الرجل لعبده: طِرْ في حاجتي، والمراد الإسراع، وعلى هذا التقدير: فقد يحصل الطيران لا بالجناح، قال الحماسي: طاروا إليه زرافات ووحدانا". الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. (١٤٢٠هـ). **مفاتيح الغيب**. دار إحياء التراث العربي. بيروت الطبعة الثالثة. ١٢/ ٥٢٤. وقال البيضاوي: "وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ: في الهواء، وصفه به قطعاً لمجاز السرعة ونحوها". البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (١٤١٨هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. محمد عبد الرحمن المرعشلي محقق. نشر إحياء التراث العربي بيروت. ط١. ٢/.١٦١.

وبدهي أن الكرامة إذا رأيتها رأي العين لزمك تصديقها، أما إذا حكيت لك ولم ترها، فأنت بالخيار بين التصديق والتكذيب، ومن هذا المنطلق أود أن أقول: إن كل من أنكروا كرامة طواف الصالحين لم يروها بأعينهم، وإنما ينكرون ما يسمعون؛ فلا حرج عليهم في إنكارهم ولا لوم عليهم في تكذيبهم، لكن السؤال الذي لا بد من طرحه: هل رأى أحد منهم هذه الكرامة بعيني رأسه فأنكرها؟! وما موقفه منها لو رآها رأي العين؟ هل يتجاسر على إنكارها أم يذعن لها؟.

والحق أن سليم الفطرة إذا رأى كرامة فلن يجرؤ على إنكارها بل ستزيده إيمانا، وأما إذا لم يرها فله ألّا يصدقها، وليتحرز عن نفيها؛ طالما لم يقم دليل شرعي على نفيها، فإن قلتَ: إنه لم يقم أيضا دليل شرعي على ثبوت الطواف؛ قلتُ: أمر كهذا لايحتاج إلى دليل شرعي؛ وإلا لاحتجنا لدليل شرعي لثبوت أي كرامة، مع أن الله خص أولياءه بالبشرى في الحياة الدنيا والآخرة؛ فلماذا نحتظر عظيما؟! والله يقول:" أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "[1]؛ أفلا

[1] سورة يونس : ٦٢، ٦٣، ٦٤.

يمكن حمل هذه الكرامة وذلك التكريم على أنه من البشرى في الحياتين ؟! ولا سيما أن الولي صار في آخر عهده بالدنيا، وهو مقدِم على دخول القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة.

المطلب الثالث: عرض هذه الكرامة من منظور السنة النبوية والرد على الطعون الموجهة إليها

إذا عرضنا هذه الكرامات على السنة النبوية وجدنا لها سندا يقويها وشاهدا يعززها؛ وخير دليل على صحة هذا ما وقع لسيدنا سعد بن معاذ، الذي اهتز لموته عرش الرحمن، وحملته الملائكة فخفّت جنازته؛ فعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ"[1] ففسّره الحسن فرحا بروحه[2]، وعن أنس بن مالك، قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، وذلك

---

[1] البخاري. **صحيح البخاري**. مرجع سابق. باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه ٣٥/٦ برقم برقم ٣٨٠٣، ومسلم. **صحيح مسلم**. مرجع سابق. باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه. ١٩١٥/٤ برقم ١٢٤ .

[2] الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. (١٤٠٦هـ). **أصول السنة**. محمد سعيد سالم محقق. نشر دار ابن القيم ط١. باب الرد على الجهمية ٤٠٦/٢ برقم ١٠٥٨-

لحكمه في بني قريظة، فبلغ ذلك النبيَّ-صلى الله عليه وسلم-فقال: "إن الملائكة كانت تحمله".[1]

وها هو ذا عامر بن فهيرة قتل شهيدا فرُفِع بين السماء والأرض؛ فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع؛ فكانوا يرون أن الملائكة رفعته، ففي البخاري: "لما قتل الذين ببئر معونة، وأسر عمرو بن أمية الضمري، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع..."[2] قال الزهري: وبلغني أنهم لما دَفَنُوا الْتَمَسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقدروا عليه؛ فيرون أن الملائكة دفنته.[3]

---

[1] الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. (١٩٩٨م) .**سنن الترمذي**. بشار عواد معروف. محقق. دار الغرب الإسلامي بيروت. باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه. ٥/ ٦٩٠ رقم ٣٨٤٩، ١٧٣/٦ برقم ٣٨٤٩، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وقد حكم الألباني عليه بأنه صحيح.

[2] البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق. (باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة ...). ١٠٦/٥ برقم ١٣٨٠.

[3] الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني حبيب الرحمن الأعظمي. (١٤٠٣هـ). **مصنف عبد الرزاق**. المجلس العلمي- الهند. الطبعة الثانية. باب وقعة حنين ٣٧٩/٥ برقم ٩٧٤١.

نعم، إذا عرضنا هذه الكرامات -خفة النعش، ارتفاعه، طوافه- على السنة النبوية، وخصوصا ما وقع لعامر بن فهيرة، ولما حدث لسعد بن معاذ، نجزم بأن السنة النبوية المطهرة لا تمنع قبول هذه الكرامات.

بعض الطعون الموجهة لكرامة الطواف والرد عليها

أنكر كثير من العامة والخاصة كرامة الطواف، من دون روية وتدبر، وطعنوا فيها، ولبّسوا على الناس، ونفوها جملة وتفصيلا، وكأنهم يملكون خزائن رحمة الله؛ فاحتظروا عظيما، وها أنذا أسوق بعضا من طعونهم؛ مستعينا بحول ربي وقوته لتفنيدها؛ فأقول:

زعم المنكرون أن الطواف بقبور الأولياء يتنافى مع ما جاء في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي يقول فيه: "إذا وضعت الجنازة، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة، قالت: قدِّموني، وإن كانت غير صالحة، قالت: يا ويلها أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صعق"[1]؛ حيث زعموا أن طلبها التقديم والإسراع ينافي طوافها الذي يتطلب تأخيرها.

[1] البخاري. **صحيح البخاري**. مرجع سابق. باب حمل الرجال الجنازة دون النساء ٨٥/٢ برقم

وهم بذلك يقولون قولا أوْهَى من بيوت العناكب، وأشبه شيء بنار الحباحب، وهم كالنملة لاترى إلا سن القلم... ولهؤلاء أقول: إن كرامة الطواف لا تتنافى ولا تتعارض مع الحديث السابق؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- يُري الناس آياته وما منحه لعبده الصالح؛ ليعتبر الناس مِن بعده؛ وليعرفوا منزلة الصالحين، وهذا الوقت اليسير الذي تظهر فيه هذه الكرامة، إنما هو إسعاد من الله -تعالى- لعبده؛ فهذه السعادة مقدّمة لسعادته الأبدية بالنعيم المقيم، فطوافه لا ينافي طلبه أن يقدموه لقبره؛ فكلٌ تقديم، وكلٌ سعادة له وحبور.

ومثل هذا -ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض- ما يفعله عامة الناس حين يزفون العريس إلى عروسه؛ فقبل أن يدخلوه غرفته يسعدونه ويبهجونه، ثم يدخلونه على عروسه؛ لتكتمل بهجته، ومثله -أيضا- ما يفعله الملوك والسلاطين والرؤساء والأمراء حين يستقبلون ضيوفهم، يزفونهم أولا، وذلك باستقبال يليق بهم لمدة قليلة، ثم يأخذونهم بعدُ لدار الضيافة والتكريم.

١٣١٤، وباب: قول الميت وهو على الجنازة قدموني ٢/٨٦ برقم.١٣١٦، وباب: كلام الميت على الجنازة ٢/١٠٠ برقم ١٣٨٠ .

وهذا المعنى انتبه إليه بعض النحارير من العلماء وفطنوا إليه، وعرفوه من آي القرآن الكريم، الذي لا يَخلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وذلك في قول الله -تعالى-: "وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ"[1] وقوله — جل وعز-: "وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ"[2] وقد فهم الملهَمون هذا المعنى من دخول الواو على الفعل "فتحت" عند سوق المتقين إلى الجنة، وعدم دخوله على الفعل "فتحت" عند سوق الكافرين إلى جهنم؛ لأن هذه الواو تشير إلى وجود فاصل زمني بين سوق المتقين إلى الجنة وفتح أبوابها؛ فالمتقون يساقون إلى الجنة زمرا، حتى إذا أتوا أبوابها وجاءوها لم يدخلوها في التوّ واللحين سراعا؛ فقبل أن تفتح لهم الأبواب يتلقون التكريم والتهنئة، وتعمهم السعادة، ثم تفتح لهم أبواب الجنة.. اللهم اجعلنا منهم، آمين آمين. وأما الكفار فإنهم يساقون إلى جهنم زمرا؛ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها مباشرة وزجوا فيها

---

[1] سورة الزمر: ٧١ .

[2] سورة الزمر: ٧٣ .

زجا؛ وكبت وجوههم في النار؛ فلا تكريم لهم؛ وإنما هو تقريع وتأنيب من الملائكة؛ حيث تتلقاهم كما يتلقى المرء من لا يحب فيتخلص منه سريعا، فكذلك -والله أعلم- الحال هنا مع العبد الصالح المتوفَّى، يكرمه الله -تعالى- بإظهار هذا الأمر الخارق للعادة على يديه؛ إسعادا له قبل أن يدخل القبر وينال السعادة العظمى.

ومما يلبّس به الماديون -أيضا- قولهم: لِمَ لمْ تظهر كرامة الطواف في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم، ولا في عصر مَن بعدهم؟ ولهؤلاء أقول: إن هذه الكرامة كسائر الكرامات؛ تكثر في آخر الزمان؛ حيث تقسو القلوب وتعمى الأبصار؛ فيفيض الله بكرمه على عباده ما يلين به قلوبهم، ثم إنه ليس شرطا لثبوت كرامة وجريانها على يد عبد صالح أن تكون هذه الكرامة وقعت بعينها، وشكلها ومضمونها، وفصها ونصها، وقضها وقضيضها لعبد صالح مِن قبله .

وهل سمعتَ أن ما ثبت بالروايات الصحيحة من كرامات لأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتابعين وسلف هذه الأمة، هل سمعت أن أحدا من العلماء اشترط أن تكون كراماتهم قد سبق لها نظير ومثيل؟! فها

هو ذا سيدنا عمر بن الخطاب، وهو على منبر رسول الله-صلى الله عليه وسلم-نادى سارية وهو يقاتل في نهاوند، وقال له: الجبلَ الجبلَ؛ فسمعه سارية، وبينهما ما بينهما من طول المسافات، فاستند هو وأصحابه إلى الجبل فقاتلوا العدو من جانب واحد[1]... فهل سُبِق سيدُنا عمر بهذه الكرامة، وهل طلب أحد من العلماء دليلا شرعيا على صحتها.

وقد جاء من طريق صحيح عن كرامات الصحابة والتابعين والسلف الصالح ما هو أعجب من ذلك وأغرب، كالذي وقع لعامر بن فهيرة حين رُفع بين السماء والأرض بعد استشهاده -كما سبق- ولا شك أن كرامة الطواف تتضاءل أمام ما حدث له-رضي الله عنه.

ومما يلبّس به منكرو هذه الكرامة -أيضا- قولهم: لو ترك المشيعون النعش على الأرض، فهل يطوف وحده؟ وقولهم: لو وضع النعش في سيارة، فهل سيغير اتجاهها أو ينفصل عن متنها ويتحرك وحده؟ وأقول: سبحان الله!

[1] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. **غريب الحديث**.(١٣٩٧هـ). عبد الله الجبوري محقق. الناشر: مطبعة العاني ببغداد. الطبعة: الأولى. ١/ ٣١٣.

لعمرك هذا هو الهراء بعينه، والتلبيس على الناس؛ فهل للعبد الصالح أن يغير سنن الله الكونية في المشي والسير؟ فلو أن خشبة طارت لوحدها وهي تحمل جثة، أو غيّرت اتجاه سيارة لكان هذا ضربا من السحر، أو كان من عمل الشيطان؛ ليفتتن الناس بشيخ يطير نعشه وحده، ويغير اتجاه سيارة، لكنها قدرة الله وكرمه الذي امتنّ به على الصالحين بمساعدة المشيعين؛ حتى لا تنسب الأفعال والحركات للأموات، وإلا فقل لي بالله عليك: ألم يخبر النبي- صلى الله عليه وسلم -كما سبق- أن الملائكة حملت جنازة سعد بن معاذ؛ فكان النعش خفيفا؛ وذلك حين أنكر عليه المنافقون لحكمه في بني قريظة ؟ ومعنى كون النعش خفيفا أن الملائكة شاركت في حمل نعشه، ولم تتولّ حمله كليّة، ولم تستقل بحمله من دون الصحابة، وبدهي أن ملكا واحدا يستطيع أن يطير به في عنان السماء.

ثم قل لي بربك: كيف قاتل جبريلُ والملائكةُ[1] مع المسلمين يوم بدر؟ وإنّ ملَكا واحدا يستطيع أن يبيد جيوش الكافرين عن آخرها؟ ألم يُهلك جبريل

[1] في صحيح مسلم:" بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط فاخضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة".

المؤتفكات قرى قوم لوط؟ ألم يجعل عاليها سافلها؟ أفيعجِز عن إهلاك جيش المشركين يوم بدر؟

مسلم. **صحيح مسلم**. مرجع سابق. ٣/ ١٣٨٤ حديث رقم:١٧٦٣- باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر. وقال ابن عباس: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدْنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة؛ فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينا نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلا يقول: أقدِمْ حيزومُ، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت. وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدرا، قال، بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى.

وعن أبي داود المازني، وكان شهد بدرا، قال: إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري. وعن عبد الله بن عباس، قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمرا. وعن علي بن أبي طالب قال: العمائم: تيجان العرب، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرخوها على ظهورهم، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء. وعن ابن عباس، قال: ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون.". انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام. (١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م). **السيرة النبوية لابن هشام**. مصطفى السقا وآخرَين محققون. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر-ط٢. ١/٦٣٣، ٦٣٤. والنيسابوري. عبد الملك بن محمد بن إبراهيم. ١٤٢١(هـ.) **شرف المصطفى**. دار البشائر الإسلامية بمكة ط١. ١/١٣٠.

وأقول-أيضا-: مما يدل على أن الطواف من الله وحده، ولا دخل للمشيعين فيه، أن النعش يدور بالناس ويحوّل وجهتهم لزيارة قبور قد اندثرت، ولا يُرَى لها أثر، ولا يُعلَم لها صاحب، فإذا سألت عن صاحبها وجدت الإجابة عند من طعن في السن وصار قعيد البيت، فأخبرك أنه سمع من زمن بعيد أن في هذا المكان قبرا لا يعرف اسم صاحبه، وأنه مات من قديم الزمان، فمن الذي أخبر النعش عن هذه القبور التي لا يعلم عنها المشيعون شيئا؟.

إن الله -سبحانه- يكرم الصالحين أحياء وأمواتا، ويُرِي الأحياءَ كرامة هؤلاء المخلصين، والعكس بالعكس: حدثني الأستاذ الدكتور أحمد بن أحمد شرشال[1]، قال: "إن طبيبا متخصصا في جراحة القلب، أخبره أنه في أثناء إجراء العمليات الجراحية حين يفتحون قلب الإنسان، قد يموت المريض بين أيديهم؛ فأحيانا يشمون رائحة زكية تخرج من دم المتوفى ما شموا مثلها قط، وأحيانا يشمون من دم ميت آخر رائحة كريهة جدا"، وهذا تكريم من الله لعبده الصالح، وأما الآخر فعليه من الله ما يستحق.

[1] عالم جزائري، متخصص في التفسير والقراءات ورسم المصحف، أعير إلى دول إسلامية كثيرة، آخرها بروني دار السلام.

وحدثني الدكتور عمر بن عبد الله بن سيما سبا[1]، قال: "حدثني زميل لي في المملكة العربية السعودية، أنه شاهد أمام بيت الله الحرام بمكة المكرمة ما أفزعه وروّعه، قال: جاءوا بجنازة ليصلوا عليها في البيت الحرام؛ فلم يستطيعوا الدخول بها من باب المسجد الحرام؛ فذهبوا يلتمسون الدخول من باب آخر فلم يستطيعوا؛ ثم جربوا كل الأبواب ولكن من دون جدوى، وكأنّ قوى خفية تمنعهم وتحول بينهم وبين الدخول؛ فتعجبوا وسألوا أنفسهم: ما الذي يمنع الجنازة من الدخول؛ فاجتمع خلق كثير محاولين إقحام النعش في البيت الحرام، ولكن هيهات؛ فاتصلوا هاتفيا بالمشايخ يسألونهم عن هذا الأمر؛ فقال أحد المشايخ: سلوا أهله: ماذا كان يفعل في حياته؟ فقال أهله: إنه من أهل مكة، ومع ذلك فإنه لم يدخل البيت الحرام قط؛ فقال المشايخ: من أجل ذلك؛ حرَمه الله من دخوله بعد موته؛ فلا تُتْعِبوا أنفسكم، وصلُّوا عليه في مكان آخر؛ فأخذوه وانصرفوا" .

وقد وقع لبعض الصالحين في بلدنا (مصر) أنه لما أُدخِل قبره، عبقت رائحة من قبره، والله ما شممنا مثلها قط، وما هي من رائحة الدنيا، وقد أيقن

[1] عالم لغوي من تنزانيا، درس في البلاد الإسلامية والعربية، وأعير إلى كثير من الدول الإسلامية، وكان آخرها بروني دار السلام، توفي عام ٢٠١٩م.

الجميع بأنها من عَرف الجنة". ولما رجعوا من دفنه، وردوا الفرش الذي كان في النعش إلى البيت، ومن بين الفرش "كوفرتتان" شممنا منهما رائحة زكية جدا، ليس لها نظير أبدا، وما هي من روائح الدنيا؛ وكان الناس يعتقدون أنها من عَرف الجنة؛ وقد أخذ أحد الناس كوفرتة تبركا، واحتفظ أهله بالكوفرتة الثانية في "دولاب"، وكلما فتحوا الدولاب شموا رائحة زكية ليس لها مثيل، ولقد ظل هذا العبق زمنا طويلا، حتى بليت الكوفرتة.

والسؤال الذي يطرح نفسه أخيرا: من جاء بهذه الرائحة الزكية التي ليس لها مثيل من روائحنا وعطورنا؟ ومن الذي وضعها في القبر عندما أدخلوا الشيخ فيه؟ ومن الذي وضعها على "الكوفرتتين"؟ ومن الذي أبقى عليهما هذه الرائحة الزكية مدة بقائهما؟ مَن غيرُ الله تعالى؟! أفبعد كل هذا يجد المنكر مساغا لإنكاره ؟! أم إنه لايعترف بأسرار القدرة الإلهية؟

وبعد، فلعل إنكار كثير من الناس لمثل هذه الكرامة، مرده إلى ما يدبره ويفتعله شرذمة من مريدي وتلاميذ بعض المشايخ؛ حيث يريدون تكريم مشايخهم؛ فيفتعلون ما يلبّسون به على الناس؛ ليوهموهم أن شيخهم كانت له كرامات ظاهرة، وآيات باهرة؛ فيكثر تابعوه ومريدوه؛ ومن هنا حكم

الناس على كرامة الطواف من منظور هذه الافتعالات، ومن البدهي أن الإنسان أي إنسان، يستطيع بأقل معرفة أن يفرق بين الحقيقة والادعاء.

والواقع أني لم أكتب هذا المقال لألزم القاريء بتصديق طواف الصالحين، وإنما أقص عليه ما شاهده وحدث به الثقات؛ فمن شاء فليصدق ومن شاء غير ذلك فله ما يريد .

وفي نهاية هذا التطواف أقول: إن الأفضل لمن لم ير كرامة بعينيه، ثم سمعها فلم يمِلْ إلى تصديقها، الأفضل له أن يتوقف، وألا يُعمل رأيه فيما لايعلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنتا لنهتدي لولا أن هدانا الله وبعد فقد انتهيت بفضل الله —تعالى— من كتابة هذا المقال وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

نتائج البحث:

- هناك كرامات ثبتت ثبوتا قطعيا في القرآن كقصة أهل الكهف وعرش بلقيس، وكرامات ثبتت ثبوتا قطعيا في السنة النبوية جاءت في كتب السنة الصحيحة.

- تحتوي المكتبات الإسلامية على مصنفات كثيرة، تناولت كرامات الصالحين باستفاضة وإسهاب، قام بتصنيفها أكابر الأئمة وفضلاء الأمة.

- إن نعش العبد الصالح يخف -أحيانا- وهو محمول فوق أكتاف الرجال، وذلك من كرامة الميت،وخير دليل على صحة هذا الكلام ما وقع لسيدنا سعد بن معاذ الذي حملته الملائكة.

- من ينظرُ ويترقب يستطيع التفرقة بين كرامة حقيقية أجراها الله على يد عبد الصالح وكرامة من فعل المشيعين.

- سليم الفطرة إذا رأى كرامة فلن يجرؤ على إنكارها بل ستزيده إيمانا، وأما إذا لم يرها فله ألّا يصدقها.

- إن هناك أمرا فاق خفة وارتفاع النعش، وقع لعامرِ بن فهيرة، صاحب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- حيث رفع بين السماء والأرض بعد استشهاده، وكانوا يرون أن الملائكة دفنته.

– ليس شرطا لثبوت كرامة وجريانها على يد عبد صالح أن تكون هذه الكرامة وقعت بعينها، وشكلها ومضمونها، وفصها ونصها، وقضها وقضيضها لعبد صالح مِن قبله.

– لعل إنكار كثير من الناس لمثل هذه الكرامة، مرده إلى ما يدبره ويفتعله شرذمة من مريدي وتلاميذ بعض المشايخ؛ حيث يريدون تكريم مشايخهم؛ فيفتعلون ما يلبّسون به على الناس؛ ليوهموهم أن شيخهم كانت له كرامات ظاهرة، وآيات باهرة؛ فيكثر تابعوه ومريدوه.

وفي النهاية **يوصي** الكاتبُ القارئَ الكريم بالآتي:

– إذا رأيتَ الكرامة رأي العين لزمك تصديقها، أما إذا حكيت لك ولم ترها، فأنت بالخيار بين التصديق والتكذيب.

– إذا لم تر كرامة بعينيك، ثم سمعتها فلم تمِلْ إلى تصديقها، فالأفضل له أن تتوقف، وألا تُعمل رأيك فيما لاتعلم. ولتتحرز عن نفيها؛ طالما لم يقم دليل شرعي على نفيها.

المصادر والمراجع

أيوب، حسن محمد. (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م). **تبسيط العقائد الإسلامية**. دار الندوة الجديدة. بيروت — لبنان. الطبعة الخامسة.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**. محمد زهير بن ناصر الناصرمحقق. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة الأولى.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (١٤١٨هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. محمد عبد الرحمن المرعشلي محقق. نشر إحياء التراث العربي بيروت. ط١.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. (١٩٩٨م). **سنن الترمذي**. بشار عواد معروف. محقق. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (د.ت) **التصوف والصوفية**. محمد طاهر الزين محقق. دار الإيمان.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م). **التعريفات**. جماعة من العلماء (محققون). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى. ص ١٨٤.

الحلبي، عبد القادر عيسى. (١٤٢هـ- ٢٠٠١م). **حقائق عن التصوف**. منشورات دار العرفان بحلب. الطبعة الحادية عشرة.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. (١٤٢٠ هـ). **مفاتيح الغيب**. دار إحياء التراث العربي. بيروت الطبعة الثالثة.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. (١٤٠٦هـ). **أصول السنة**. محمد سعيد سالم محقق. نشر دار ابن القيم. ط١.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني حبيب الرحمن الأعظمي. (١٤٠٣هـ) .**مصنف عبد الرزاق**. المجلس العلمي- الهند. الطبعة الثانية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. **غريب الحديث**. (١٣٩٧هـ). عبد الله الجبوري محقق. الناشر: مطبعة العاني ببغداد. الطبعة: الأولى. ١/ ٣١٣.

القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن. (د.ت). **صحيح مسلم**. محمد فؤاد عبد الباقي محقق. دار إحياء التراث العربي بيروت.

المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي. (١٤١هـ-١٩٩٠م). **التوقيف على مهمات التعاريف**. الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت. القاهرة. الطبعة الأولى. ص: ٢٨١.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. (١٤١٩هـ-١٩٩٨م). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. يوسف علي بديوي محقق. نشر دار الكلم الطيب بيروت. ط١.

النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني. (١٤١١هـ-١٩٩٠م). **المستدرك على الصحيحين**. مصطفى عبد القادر عطا محقق. دار الكتب العلمية بيروت. ط١.

النيسابوري. عبد الملك بن محمد بن إبراهيم. (١٤٢١هـ). **شرف المصطفى**. دار البشائر الإسلامية بمكة ط١ .

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام. (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م). **السيرة النبوية لابن هشام**. مصطفى السقا وآخرَين محققون. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ط٢.